170 ألف طالب

يحفظون القرآن الكريم بالخلاوي السودانية

بدأت في الخرطوم الشهر الماضي الدورة التدريبية الثانية لمديري ومعلمي المدارس التكميلية الإسلامية للعام الدراسي الجديد، وقد حضر الحفل د. عبد الفتاح منصور مندوباً عن رابطة العالم الإسلامي إلى جانب ممثلين عن وزارة التربية والشئون الدينية والجامعات السودانية، وهي الدورة التي تقام بمعهد تدريب معلمي المرحلة المتوسطة بميدان المهدية شمال مدينة أم درمان لمدة شهرين..

والجدير بالملاحظة في أمر هذه الدورة أنها تتم تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي..

أما لماذا سميت هذه المدارس بالتكميلية، وما حجم الدور الذي يفترض أن تؤديه في مسار التربية الإسلامية في السودان، وأخيراً ما صلة كل ذلك برابطة العالم الإسلامي..؟

الإجابة على ذلك نقرأها في القصة التالية:

إستناداً إلى مسح تربوي أجري قبل 5 سنوات بواسطة إدارة التعليم في السودان تبين أنه يوجد في البلاد اليوم 2626 خلوة بها 170595 تلميذا تقوم بمهمة تحفيظهم القرآن الكريم إلى جانب تعليمهم شيئا من مهارات القراءة والكتابة..

من خلال هذه الحقائق الواقعية البسيطة أحس القائمون بأمر التعليم هنا خطورة العبء الذي يقع على الخلاوي في تربية النشء وأهمية الدور الذي تلعبه في تشكيل شخصياتهم، ومن ثم نبعت فكرة المدرسة التكميلية للربط بين النظام التعليمي الرسمي وبين الطريقة المتبعة في تعليم الخلوة، ذلك لأن الأخيرة بمناهجها وأساليبها التقليدية في التعليم قد لا تكون قادرة على إعداد الدارسين فيها وتهيئتهم لمواجهة تحديات العصر بالقدر المناسب..

وهذه المدارس تتكون من الصفين (الخامس والسادس الابتدائي) يقبل بها التلاميذ الآتون من الخلاوي الذين حفظوا القرآن ويرغبون في مواصلة تعليمهم ، أو من الذين درسوا في مراكز محو الأمية أو ممن علموا أنفسهم عن طريق الجهد الذاتي، وهي تنشأ كوحدة مستقلة أو في دورة ثانية في مدرسة ابتدائية قائمة يلحق بها من استطاعوا الوصول إلى مستوى الصف الرابع الابتدائي، ولا تتجاوز أعمارهم الثالثة عشرة ليواصلوا الدراسة إلى نهاية المرحلة التعليمية التالية.

والنتيجة أن هذا النظام سيؤدي من ناحية إلى استمرار الخلوة كمؤسسة لتحفيظ القرآن بدلا من إهمالها بسبب منافسة مدارس التعليم النظامي لها، وقد يؤدي من ناحية أخرى إلى ازدياد الخلاوي نظراً إلى أنها أقل كلفة ولأنها تعتمد على المجهود الشعبي..

إن نظام المدرسة التكميلية كمصب للخلاوي يعني نشر كتاب اللّه حفظا وتجويداً، ويعني ضم الصفوف من أبناء المسلمين إلى التعليم العام.. ومما لا شك فيه أن خريجي الخلوة سيكون لهم خير تأثير على المجتمع المدرسي، بل وعلى المجتمع عامة حين يتأهلون لقيادته مستقبلا..

من هذا المنظور لدور المدرسة التكميلية يتهيأ المسرح لرابطة العالم الإسلامي لكي تسهم بالإشراف الواعي المدرك لأبعاد هذا الدور، كما وتسخو بالدعم المالي في إعداد المعلمين الذين ستقوم على أكتافهم مهمة تنفيذ هذه السياسة الجديدة بالنسبة للفكر التربوي في السودان ، وليس ذلك فحسب بل وربما هي جديدة حتى بالنسبة لبقية العالم الإسلامي في عمومه..

وقد أقامت رابطة العالم الإسلامي بمقر الدراسة في المعهد معسكراً إسلامياً كاملاً حشدت له مجموعة طيبة منتقاة من حملة المؤهلات العالية (الدكتوراه) كمعلمين وهم الذين تم إقناعهم بصورة شخصية بقبول التدريس بالمعهد خلال إجازاتهم الصيفية من الجامعتين الإسلامية وجامعة الخرطوم..

في هذا المعسكر يحيا طلابه البالغ عددهم (103) قدموا من كل محافظات السودان الشمالية ليعيشوا حياة جماعية إسلامية ملتزمة تحت إشراف الأساتذة والمشرفين عليهم..

ولعل من أبرز النظم والأفكار الواردة في البرنامج الدراسي لهذه الدورة الروح الجماعية السائدة على جو المعسكر، في الأكل والعبادة والنشاط العملي (وهو عبارة عن زيارات يومية لمساجد خارجية وشهود محاضرات من الأساتذة) كذلك تم التركيز في البرنامج على الحفل والتلاوة والتجويد من مواد القرآن الكريم، وهذا أمر طبيعي ما دامت الدورة قائمة أساساً لاستقبال طلاب من حفظة القرآن الكريم في مسار التعليم النظامي، ثم هناك ما يمكن أن يعتبر موضوعاً ذا دلالة نظراً لموقع السودان الجغرافي الحساس ولكونه مستهدفاً من جهات تجاهر بعدائها للعقيدة الإسلامية، هذا الموضوع في مواد البرنامج الدراسي بالمعهد هو ما سمي بأعداء الإسلام الحمر بينها العلمانية والتنصير..

إن الهدف البعيد أو الإستراتيجي كما يسمونه الذي ترمي إليه إدارة التعليم في السودان من وراء قيام المدارس التكميلية والسير فيها قدما يمثل هذا الخطو المنظم وهو القضاء على الأمية بصورة سريعة وذلك بإنشاء 587 مدرسة من هذا النوع خلال الخطة الستية المعدلة المتعلقة بتعميم التعليم الأولي في البلاد..

إنه لشيء يدعو للتفاؤل أن يجد المسلمون أينما كانوا، فرصة الإ لتقاء (ولو بصورة غير مباشرة) في ميادين العمل المثمر من أجل تثبيت دينهم الحنيف حتى يمتنع ركنه على أن ينال منه الحاقدون وإن كثر عددهم وعلت ضجتهم فوق أصوات الحكمة والعدل والرأي السديد..

(جريدة المدينة)